

**تجليات الصراع في الأدب العربي المعاصر وأثره في حرب العرب
(من الصراع والصدام إلى ثقافة الحرب في شعر سوريا نموذجا)**
**TAJALLIYAH ASH-SHIRA‘ FI AL-ADAB
 AL-‘ARABI AL-MU‘ASHIR WA ATSARIHI
 FI HARB AL-‘ARAB**

Halimi, M. Faisal,¹ & Muhammad Majed Al-Dakhlil²

¹Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim Malang,

²Al-Balqa University, Aqaba, Yordania

Email: halimizuhdy@uin-malang.ac.id

الملخص

لقد عبر شعر الصراع (المقاومة والثورة والحرب) في بلاد الجزيرة العربية مفردات متنوعة طوال تاريخها من خلال البعدين، منهما البعد المكاني متمثلا في الأرض التي حملها الشعر دلالات ومعان تتجاوز ملامحها المادية لتكتسب بعدا روحيا وقيما عليا. والبعد الثاني يتمثل في البعد التراثي والتاريخي. فشعر الصراعات لا ينفصل من الواقع الاجتماعي، وليس هو الشعر الانعزالي، بل هو الشعر الاجتماعي الذي له علاقة متينة بواقعه، والذي يحمل رموزا تاريخية كثيرة نتيجة لامتداد العمر الزمني لهذا المجتمع من العصور القديمة، وكان المجتمع والأرض تصنع تقاليد تتطور إلى رموز، فهناك رمز للكرام وللمروءة وللعاناة المجتمع وللصراع، وفي الرمز أسلوب فيه تلميح ومداره.

Abstract

Throughout the history of the Arab world, the poetry of the struggle (the resistance, the revolution and the war) has been a varied vocabulary throughout its history

through the two dimensions, including the spatial dimension, in the land where poetry carries meanings and meanings that transcend its physical texture to acquire a spiritual dimension and supreme value. It is the social poetry that has a strong relationship to its reality, which carries many historical symbols as a result of the extension of the temporal age of this society from antiquity. The society and the land made traditions that evolve into symbols. And the suffering of society and the conflict and the virus, and in the code style in which the tip and orbit.

Keywords: conflict; resistance; revolution; Arabic poetry; war; Syria

مقدمة

النزعة الإنسانية في الأوان الأخيرة على الفوضى والمشاغب، وهذه قد ظهرت في الشرق الأوسط، مثل: العراق، واليمن، وسوريا، وتونس، والفلسطين وغيرها من البلدان العربية، وتجليات الصراع في الأدب العربي المعاصر من درس جديد في محور الأدب العربي وهو يتميز على النقد الأدبي والثقافي والدرس النصي والإنساني بصفات مهمة، قادرة على سبر أغوار الإنسانية والثقافية والسياسية. وتجليات الصراع الأدبي نعرفها عن أسباب فوضى النصوص الأدبية وخلفية النصوص المألوفة بين الأدباء في الحرب والمضطر، والعلاقة بين الأدباء المعاصرة والحكومة والشعوب. والقضايا الحربية بين الأحزاب في سوريا واليمن وهذا يدعم الباحث لكشف النصوص الأدبية المعاصرة خاصة الشعر الذي يحول في البلدين المختلفين.

والبحوث المبدئية بهذه الدراسة عن تجليات الصراع وصدامها في الأدب العربي منها: الخصومة بين القديم والجديد في الأدب العربي لطف حسين (عمر، ٢٠١٣: ٢٦)، وتجليات الصراع وآليته النفسية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكرياء، دور المرأة في عراق ما بعد التغيير، تناول الأدباء العرب في أعمالهم الأدبية قضايا الصراع الاجتماعي والنضال الوطني والقومي (محمد، ٢٠٠٨: ٥٦)، تحضير نص الصراع بين التقليد و التجديد، الصراع بين المحافظين والمجددين في الشعر العباسي الصراع بين العربية والفرنسية (إبراهيم، ٢٠١٦: ٦٧) وتجليات الصراع العربي الإسرائيلي في الأدب العربي الى ثقافة الاحتواء (محمد جودي، ٢٠١٣)

ومصدر النظر على تجليات الصراع والصدام مع استلهاها في النصّ الشعر وللنصوص الأدبية عامة والتغلغل إلى مفاصله، والشعراء من سوريا واليمن نموذجاً؛ لأنّ البلدين المذكورين لا يزالان في الحرب، المقاتلة بين الأحزاب، والحكومة مع الشعب وغيرها.

والباحث لا يعرف خلفه الحرب فيهما، هل هناك دور الأعمال الأدبية في الهابها أو الدور لاطئمانها أو الأعمال الأدبية لا أثر فيهما. وهذه القضية مهمة جدا في البحث في هذه الأيام والشهور الأخيرة لكثرة المشاكل والعوائق التي يواجهها الشعب العالمي خاصة في الشرق الأوسط، وبهذا الحال يدرك الغنى النصي في شعرهما عن الثقافية والسياسية والأمنية، والبلدان المختارة للبحث عن النصوص الأدبية يستحق التوقف عندهما بالبحث والدراسة والتحليل، وإن أشارت بعض الدراسات الأكاديمية بإيماءات - لا تغني عن تناول الظاهرة على نحو متخصص.

وأهم شيء في تجليات الصراع في النصوص الأدبية العربية المعاصرة. ويعدّ الفكر الحر فيه جزءاً أصله من النزعة الإنسانية، والمساواة نهاية رئيسية في النزعة الإنسانية. وقد تعددت دلالات هذا المصطلح عبر العصور، وتبدلت أحياناً بتغير الظروف والمحللات، ولا نود أن نقف للمصطلح عند هذه الناحية التاريخية (موسوعة، ٢٠١٦). وهناك البحوث كثيرة في تجليات الصراع والصدام مثل: صراع الأدب في الأدب العربي، صراع الأدب القديم والحديث في الشعر العربي.

الصراع بشكل عام هي ظاهرة اجتماعية تعكس حالة من عدم الراحة النفسية أو الإجهاد الناجم عن عدم تطابق رغبتين أو أكثر أو معارضة من رغبة واحدة أو أكثر. والصراع في الأدب هو صراع بين النصوص الأدبية وبنظرة القضايا الثقافية. وجد أي شخص يرى الأدب العربي بحثاً عن الفوضى في العصور القديمة والحديثة أن هناك فرق في وجود الميول البشرية بين الأدب القديم والحديث، وهذا الاختلاف يتطلب عدداً من البيانات، بما في ذلك: طريقة الوجود والتنوع الثقافي وتطور مراجعه على مر العصور والشعراء، الذين يرتبطون في نهاية المطاف بالفكر والثقافة والموقف، وأنه من المختارات الطليعة الذين يجب أن يساهموا في قضايا المجتمع.

في الحرب العالمية الثانية، دعا الشعراء في تعبيراتهم عن السلام إلى أساليب مختلفة لتسليط الضوء على أسباب الحرب، مستشهدين بقضاياهم، التي ربطت معظمها اندلاع الحرب بالجنون والهاجس الذي سيطر على العديد من القادة، لتحقيق أهدافهم باستخدام القوة في بناء ممالكهم وعروشهم، يتبنون بهذه الطريقة سياسات الاستبداد المتشدد في مختلف المجالات، ويقلّدون بعض صفات «الربانية». كانوا أقزاماً من آدم فقط، يعيشون في وقت لم يعترف فيه الناس بوجود إله واحد، في قصيدته «العام الجديدة» (أحمد، ٢٠٠٧: ٢٥).

من هنا وجدت تجليات الأدب العربي المعاصر التي تعطي إليها البحث هي تلك العواطف الراقية النبيلة التي تحدو بالإنسان والثقافة والحضارة إلى التحليق في سماء الحب والخير والعطاء والنماء. وتتناول دراسة الجهني ثلاثة محاور هي: الصراع في الأدب، والصدام في الشعر العربي على مر العصور، معالم حياة وبذور شاعرية (شمس علي، ٢٠١٥: ٣٤). وهذا البحث شيء جديد وجددير بمعرفة المعلومات الدقيقة عنه: الأول، الدراسة المبدئية السابقة قد طالت دراستها ولا تتعلق بالأدب المعاصر في الأوان الأخيرة وكذلك عن الحرب الحديث. والثاني، النظرية جديدة، عن تجليات الصراع في الأدب العربي المعاصر وأثره في حرب العرب (من الصراع والصدام إلى ثقافة الحرب في شعر سوريا واليمن نموذجاً). والشعراء الذين كانوا في هذا البحث هم الشعراء في اليمن وسوريا، من الشعراء السوريين ابن العاصي، موال دمشقي، محمود درويش، سعيد عقل، ادونيس، سليم غزالة، عماد الدين طه، نزار قباني. وأما الشعراء من اليمن فمنهم عبد العزيز، أحمد بن عبد الرحمن الأنسي، ياسر السفيناني، ابن شهاب العلوي، قاسم لقمان الحسني، كريم النعمان.

بأهمية ما سبق من مقدمة البحث، فيحث الباحثون لدراسة تجليات الصراع تجليات الصراع في الأدب العربي المعاصر وأثره في حرب العرب (من الصراع والصدام إلى ثقافة الحرب في شعر سوريا نموذجاً). لكي يحصل الباحثون حقيقة الأثر الحقيقي بين الشعر المعاصر والحرب الحضاري في الأوان الأخيرة.

وتأتي أسئلة البحث لإجابة مشكلة البحث السابق: (١) كيف تجليات الصراع والصدام في قصائد شعراء سوريا واليمن والنظر الى ثقافة الحرب في العرب؟ (٢) ما العلاقة القوية بين النصوص الأدبية المعاصرة والواقعة الحديثة في العرب؟ وهذا البحث بأهدافه؛ معرفة تجليات الصراع والصدام في قصائد شعراء سوريا واليمن والنظر الى الثقافة والحرب. ومعرفة العلاقة القوية بين النصوص الأدبية المعاصرة والواقعة الحديثة في سوريا.

تجليات الصراع ومواقفه

التجليات جمع من تجلي، لغة: ظُهورُ الأشياءِ وَأَنْكِشَافُهَا. واصطلاحاً: الأفكار أو المفاهيم لجعل الشيء دقة وكليا. أو الإجراءات التي تظهر بشكل واضح أو يجسد شيء مجردة أو نظرية (معجم المعاني، ٢٠١٧).

كل شخص لديه فكرة أو مفهوم، في كل شيء، كل مفهوم لا يمكن أن تتحقق في شكل ملموس، وهذا يتوقف على شخص ما. وأما في اصطلاح المتصوف هو الذي ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (ابن عربي، ٢٠٠٤: ٤٥) وإنما جمع الغيوب عن عدد من المتغيرات

التجليدية، كل اسم إلهي وفقاً لبيئته ووجهه المتنوع من المظاهر، والأمهات غير المرثيات، التي تظهر تجلياً للمعدة السبع.

المواقف الصراعية التي يعيشها الإنسان باستمرار هي مواقفها من نشاطه النفسي والبيولوجي (أحمد فائق، ٢٠٠٣: ٥٤) فالجوع مثلاً، موقف صراعي الفرد تتنازع فيه قوة الحاجة للالتزام إلى قوة الطعام وطاقة بالظروف الاجتماعية للاقتناع، عندما تكون الحاجة الملحة للقوة البيولوجية ضعيفة، «يميل السلوك إلى أن يكون قوياً مثل الجوع البسيط أو في بداية الجوع على العكس، عندما يتفاقم الجوع في الواقع من حالة الصراع، والصراع بين المتعة والواقع، والصراع بين الحب والكراهية، والصراع بين السلبية والإيجابية (عزة، د.ت: ٣٩).

وتفسر نظريته التحليل النفسي مفهوم الصراع أنه نشأ كنتيجة للصدام الذي حدث بين الرغبات الفردية ومطالب الغريزة وبين التوحيد والتوحيد في التعاليم والقانون العام حيث نظرت الصيغ الأدبية الإنسانية إلى طبيعة السلوك البشري، وسعت إلى استعادة العالم الداخلي للاكتشاف والرؤية الخارجية من التجديد والتواصل مع وتهدف إلى اكتشاف واحة الزهر، وهذا هو ثمرة تفاعل المؤلف مع الواقع الشخصي والثقافي والاجتماعي، مما يجعل المتقدم أكثر قدرة على التفكير والفهم الذوق، وأعمق الغوص في طبيعة النفس الإنسانية (سعاد الناصر، ٢٠١٥: ١٤).

من هنا يصبح السؤال إلى أي مدى يمكن للأدب أن يستجيب للطبيعة البشرية؟ ما هو مرتبط بقيمة السلام؟ إلى أي مدى يعتبر الأدب محرك الوعي البشري لما هو مستمد من المفترض أن يكون؟ تشجع هذه الأسئلة للباحثين على دراسة موضوع القيم الإنسانية وعلاقتها بالأدب.

الصراع الأدبي

تستند نظرية الصراع على فكرة محورية مؤداها أن الصراع هو عنصر أساسي في كافة التنظيمات الاجتماعية (محمود، ١٩٩٦: ١٠٦). ويميل الباحثون بنظرية الصراع إلى بحث مواطن التوتر بين المجموعات المستضعفة والمسيطرة في المجتمع، ويسعون إلى فهم الطريقة التي تنشأ بها ارتباط السيطرة وتدوم (علي مولا، ٢٠٠٥: ٧٥).

يوزع لويس كوزير الصراعات على العديد من الطبقات الأولى، مع التركيز على ما يمكن أن تكون عليه الصراعات الاجتماعية، بما في ذلك أن تكون عملية الصراع مصدراً للقانون والنظام والثاني هو الصراع يمكن أن يؤدي إلى تعزيز التضامن والترابط، وخاصة إذا كان

الصراع مع مجموعات أخرى، والوحدة الوطنية هي واجب الحرب. أضاف لويس كوزر وظائف اجتماعية أخرى إلى الصراع والمعايير الجديدة والأنظمة الاقتصادية والتكنولوجيات الجديدة، يمكن للصراعات أن تؤدي إلى حلول وكيف حديثة. لذا، نرى أن مؤلفي هذا الاتجاه لا يرون أن عملية الصراع هي دائماً مصدر المشكلات الاجتماعية، ولكنها يمكن أن تكون حلاً للمشكلات القائمة. (إبراهيم، ٢٠٠٧: ٣٠٥-٣٠٦).

الصراع والصدام في النظريات الحديثة

في نظرية جورج سيمل، الصراع ليس من الأشياء السلبية. ولكن جورج له رأي الآخر أن الصراع هو شكل أساسي لتفاعل بين الأفراد والجماعات، ويمكن أن يستمر التفاعل. لجورج، الذي يهدّد علاقة الوحدة من خلال، مع عدم وجود تورّط من التفاعل بين الجماعة والفرد وجورج، يميز بعض أنواع الصراعات التي يمكن أن تؤدي إلى الصراعات القانونية والنزاعات على المبادئ الأساسية، والصراع بين الأشخاص، والصراع بين الجماعات، والصراع في اتصال الجنسي، وغيرها (فاروق، ٢٠١٥: ٣٦).

ومع ذلك، فإن الصراع أمر إيجابي إذا لم يدم طويلاً، مما أدى إلى التصفية. حوافز لإنهاء الملل يمكن أن تكون الصراعات متعبة، أو بسبب الرغبة في تكريس قوتها لأشياء أخرى. تحليل جورج سيميل للصور أو الوسائل لإنهاء الصراع، الذي يقضي على الصراع، يفوز بواحد من الأطراف لقبول الهزيمة من قبل طرف آخر، أو التسوية، أو المصالحة، أو حتى عدم القدرة على التوفيق.

نظرية جورج تختلف، موضحة أن الصراع هو نتيجة للتفاعل. بالنسبة إلى رالف، فإن المجتمع لديه أنواع هو الصراع والتوافق. اختبار نظرية الاجتماع مع قيمة التكامل واختبار التناقض النظري لتضارب المصالح والإكراه. لا يمكن الحفاظ على المجتمع دون صراع وتوافق، وكلا من الشروط النظرية للصراع. لذلك، لا يمكن أن يكون لدينا نزاع إذا لم يكن هناك توافق في الآراء. بدلا من الصراع يمكن توجيه الإجماع والتكامل (مالكي، ٢٠١٢: ٢٣٦).

تجليات الصراع في المعاصر والمجتمع الحديث

إن الصراع من أجل مصالح أكثرها الجمعيات هو أكثر من مجرد أمل، وهو ما يعني أن السلطات الصحية دائماً ما تكون خطيرة. المصالح والمرؤوسين هي موضوعية بمعنى أنها تنعكس في التوقعات (الأدوار) التي قد تتقاطع مع الموقع. الأفراد ليس لديهم

فهم للتوقعات. إذا شغلوا دور العطية، فسوف يتصرفون بالطريقة المتوقعة للأفراد الذين اعتادوا أو تعديلهم لأدوارهم عندما تمثل الصراعات بين (المرووسين) والمرووسين يذكّرنا رالف بفائدة دور التأمل فيما نتوقعه. أهمية مظهر الحياة هي فائدة التأمل المعمول بها. وتتمثل المهمة الرئيسية لنظرية الصراع في تحليل العلاقة بين الاهتمام بالتأمل وجوانب الحياة (مالكي، ٢٠١٢: ٢٣٨).

اتفق لويس كوزير مع نظرية جورج سيميل بأن الصراع ليس سلبيًا دائمًا. أدرك لويس، وفي الواقع كان الصراع قوة الفرد أو المجموعة المغلقة. عادة في بعض المجتمعات يظهر اتجاه الاندماج، لا يمكن إنكار أن الصراع يستجيب للدمج الداخلي ويؤدي إلى التورط مع مجموعات الأفراد والأشخاص الآخرين. (مالكي، ٢٠١٢: ٢٤١).

ولعل الميزة أكثر تميزًا للبشر هي وجود والروحية فيه الأفكار المجردة والخلقية، حيث تفخر الأفكار التي كانت هي فخر له، إن حقيقة وجودها لا تقل أهمية عن حقيقة وجوده، ومن ثم تريد أن تعطي الحياة معنى، ولكن يجب أن نعيد هذه الأفكار إلى القيم العلمية والعقلية وهكذا، فإن المفهوم (الإنسانية) موجه نحو التنمية البشرية، ودالا على الفكري الأساسي المنحى في النظرية، الفلسفة أو التدفق أو العقيدة أو نظام الحركة، لكنه يظهر على وجهه على وجه الخصوص الشخصية المميزة، والمعروفة باسم، في النظرية الفلسفية أو تشجيع الاتجاهات الواعية التي تميز النظرية (موسوعة، ٢٠١٦)، المشكلة الأخلاقية أكثر أهمية في الميل هي عملية التسامي، وبالتالي التفوق الروحي للبيولوجيا، تظهر البشرية ما يميز جودة الإنسان، واستخدام هذه الكلمة في اللغة العربية هو المعتمد في الشعور الإنسانية في سياقنا هنا القيم التي تأتي من تجارب الناس بهدف بناء العلاقات الإنسانية القائمة على العدالة والانسجام. بمعنى واحد: الفلسفة تؤكد على قيمة القدرة البشرية على تحقيق الذات مع تبني العقل.

تجليات الصراع والصدام في قصائد شعراء والنظر الى ثقافة الحرب في العرب

إن من أقدم الفنون الأدبية هو الشعر، وهو أقدم وسائل التعبير الأدبي ظهورا وأكثر انتشارا في الحياة الإنسانية، ويعتبر فنا للتعبير عن انفعالات الإنسان وعواطفهم، فالشعر في الأدب العربي سبق في الظهور بالنسبة إلى النثر الفني، وذلك يعود إلى عهد قديم منذ الحياة البشرية.

ويقول أحمد عبد المعطي حجازي إن الإنسان يحتاج إلى الشعر، والشعر ليس من حاجة فردية أو خاصة وإنما هو حاجة إنسانية عامة، ومن ثم فالشعر ضرورة بالنسبة إلى

الإنسان (مجلة فيصل، ٢٠١٦:٤٨٠). فالشعر يعتبر تجربة الإنسان النفسية عن حياتهم اليومية، وليس تجربة إلهام غيبي وإنما هو إشراق تندلع وفق طبيعة ومكان الشاعر يعيش فيه. والتجربة الشعرية لا يستطيع فصلها من عن تجربة الحياة، فالشعر إنما هو تحويل شكل لغوي إلى شكل من أشكال الحياة وتحويل شكل من أشكال الحياة إلى شكل لغوي. وإذا كان الشعر ينبع من التجربة الإنسانية فإنه وسيلة فعالة لتعبير ما خطر ببال الإنسان من الخيال والانفعالات عما يحول في البيئة التي تحيط به، فمن خلال الشعر تتجلي مشكلات الحياة اليومية، فردية كانت أم اجتماعية. فالشاعر يلعب دورا هاما أمام الجماهير في تغيير الأنماط الاجتماعية، ومن ثم فإن الشعر له علاقة وطيدة بينه وبين الواقع الاجتماعي.

وكان الشعراء سبروا غورَ القضايا الاجتماعية من خلال معاشتهم مع البيئة التي تحيط بهم، وهم ارتبطوا بوطنهم فتعرفوا على ماهية الوطنية وتراثها، فتلاقت الثقافات في فكرهم وتتوالد الأفكار، وذلك يصلح فكرهم وينمي ويوسع أفقهم، ومن ثم فهم مصقولون بخبراتهم التي يقتبسونها من ثقافتهم وتجاربهم وعلاقتهم مع البيئة (مسعد، ١٤١٧: ٤١٣). وإذا كان الأمر كذلك فالشعر ليس كائن ذاتي فحسب بل هو كائن اجتماعي، بالمعنى أنه لا ينزل من الواقع حيث يجعل الشاعر الحياة اليومية تجربة، مادية كانت أم نفسية، يعبر بها من خلال انفعاله وخياله، ويستخدم اللغة كنظام رموز لتوصيل الرسالة إلى الجماهير والمجتمع.

فالشاعر يحاول أن يخلق نوعا من التوافق النفسي بينه وبين العالم الخارجي عن طريق التوقيع الموسيقى الذي يعد أساسيا في طل عمل فني. ومن ثم كانت خطوة تشكيل الصورة الموسيقى للقصيد لأن الشاعر لم يوفق من خلال هذه الصورة الي خلق حالة التوافق بين الحركة التي تموج بها النفس والحركة التي تموج بها الأشياء وإن يكن ذلك على نحو غاية في الخفاء (عز الدين، ١٢٤-١٢٤).

وإذا كان الأدب (بما فيه الشعر) لا ينفصل من المشكلات الواقعية اليومية فذلك يعني بأن احتكاك الأديب أو الشاعر بمشكلات عصره وقضاياها من أمر ضروري، لأنه يتمكن من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس إلى ما هي رزاحة فيه، وتوعيتها بواقعها ومصيرها. وذلك ليس شيئا غريبا على الأديب أو الشاعر. والأديب لا يمكن أن يعيش منعزلا من قضايا مجتمعه ومشكلاته، بل أنها تشده إليها. ومن ثم فالأديب أو الشاعر ملتزم بموقف أو فكرة في بيئته التي يعيش فيها. فالتزام الشاعر بموقف فكري لا

يصير الشعر ذاته في شيء أو يناقض طبيعته، بل هو يضمن له الفعالة والأهمية، ويحقق للشاعر الوصف القديم، أنه نبي قومه وطفلهم وخدامهم في آن واحد (شوقي، ١٩٩٦: ٣٤٥). وكانت ظاهرة الالتزام في الأدب أو الشعر ليس أمرا جديدا، بل تتجلى منذ قديم، وظهر في الأدب العربي القديم شعراء الغزال والرثاء والمدح والهجاء، وقد مر ذلك منذ العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، فشعراء الغزال ينظمون في شعرهم ألوانا من الحب حيث يصورون فيه عن الغزل العفيف، وشعراء الرثاء يرثون الأبطال الذين يقتلون في المعركة، شعراء المدح ينشدون بمدائح زعمائهم أو ملوكهم، وشعراء الهجاء يهجون من يعتدو بهم. وكان التزام الأدب يتطور من زمن إلى زمن، ومن ثم يتنوع صورته فظهر هناك شعراء السياسة وشعراء الثورات وشعراء الشيعة وشعراء الطرد والصيد وشعراء اللهو والمجون (نازك الملائكة، ١٩٦٧: ٩-١١).

إن الشعر كظاهرة لا يثبت أمام الإنسان المتغير، والشعر في حياة الإنسان يبدأ بسيطا ثم يتعقد تدريجيا بتعدد حياة الإنسان فيتضاعف مضمونا من ناحية المعاني وأبعادها اتساعا وعمقا. ولما اتسعت أبعاد حضارة الإنسان وتعدت صورها كان لا بد للمضمون أن يتوسع ويطول، وبذلك ضاق صدر القصيدة أن ينفسح لأكثر من غرض واحد إذا استوعبه الشاعر وأجاد تحليله وتصويره، ومن ثم ظهرت تجديبات في المضمون والشكل. وعلى الرغم من أن التزام الأدب ما زال يظهر في العصر الماضي، فإنه يوجد أيضا في الأدب المعاصر إلا أن صورته تختلف اختلافا واضحا جذريا، وكان التزام الأدب المعاصر ينبع من الإطار الحضاري الحديث؛ الإطار الفكري والإطار الاجتماعي والإطار السياسي. وذهب عز الدين إسماعيل إلى أن ثمة مواقف مختلفة تتمثل في الشعر المعاصر، منها موقف المواجهة الذاتية وموقف الغربية وموقف الفروسية وموقف التمرد وموقف الصوفية الملتزمة. فموقف المواجهة يعني موقف يدل على تنبيه الوعي لدى الشاعر بأن له رسالة الحياة يؤديها، وأن عمله جزء فعال في بنية هذه الحياة وليس مجرد زينة تضاف إليها. ومن ثم كانت رحلة الشعراء في أغوار الذات بغية التعرف عليها وكشف طاقاتها الحيوية. أما موقف الغربية موقف ينطوي على الدلالات الفكرية التي حددت أبعاد هذا الموقف، بحيث يمتص الشاعر كل ألوان المعاناة التي تباعد بينه وبين الواقع، وتحول دون اندماجه فيه (عز الدين، ١٩٩٦: ٤٠٧).

وكان موقف الفروسية هو موقف أخلاقي، وليس السلاح الذي تحمله إلا وسيلة لتحقيق الوجه العملي لهذا الموقف الأخلاقي. كان سلاح الفارس دائما في خدمت عقيدته التي

آمن بها، ولم تكن عقيدة الفارس عقيدة فردية يلتزم بها الفارس وحده، بل كانت مجموعة من المبادئ التي تشكل في جملتها مفهوم الفروسية في مجتمع الفروسية، فاذا كان سلاح الفارس في خدمة عقيدته فإنه في الوقت نفسه يخدم مجتمعه (عز الدين، ١٩٩٦: ٤١٢). أما موقف التمرد في الشعر العربي المعاصر فيتمثل في الوجوه الثلاثة، وهي التمرد الميتافيزيقي والتمرد الرافض والتمرد الثوري. والتمرد هو أن يباعد بين الإنسان وأي فكرة مجتمعه، لأنه يتوجه بصفة أساسية إلى الكليات المنفصلة عن كل واقع تاريخي. والمتردد على الواقع يتضمن رفضه أولاً، لكن التوقف عند مجرد الرفض لا يمثل إلا الوجه السلبي للتمرد، والواقع أن الإنسان لا يستطيع أن يرفض رفضاً حقيقياً إلا إذا كان يعرف بديلاً حقيقياً. وهذا الموقف يتمثل في كثير من الشعر العربي المعاصر، فمرة يماثل في رفض الظلم وإقرار العدالة الاجتماعية، ومرة في رفض البالي من القديم إلى الجديد، ومرة في رفض قوى السيطرة والتحكم الأجنبي بكل أشكاله السياسية والثقافية والاقتصادية (عز الدين، ١٩٩٦: ٤١٥).

والموقف الأخير هو موقف الصوفية الملتزمة، وهو محاولة لوضع الشعر في موضعه الحقيقي بالنسبة لقضايا المجتمع، حي يتعانق الفن والعقيدة ويلتحمان في بنية وموحدة، وبهذا الموقف يريد الشاعر أن يحقق رسالته في الحياة بمنطقه الخاص، ويريد أن يحيي الجوهر الإنساني في الإنسان، وفي اعتبار آخر يريد أن يحرر الإنسان ويرده إلى جوهره الأصيل من أجل صنع لبنات المجتمع السليم حيث الكرامة مكفولة للإنسان الفرد بمقدار ما هي مكفولة للجماعة. (عز الدين، ١٩٩٦: ٤١٥)

ومن المواقف الأربعة السابقة التي تبدو وتتجسد أكثر في الشعر العربي المعاصر هو موقف التمرد، هذا الموقف يمثل في الشعر الذي أطلق عليه «شعر المقاومة»، وكان ظهور شعر المقاومة لا ينفصل من الإطار العام للأزمة الاجتماعية والثقافية التي تثقل على حاضر العالم العربي ومصيره، وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وفي العالم المتعارض والممزق استطاع الشعر العربي أن يلعب دور الرائد والمحفز في مشروع التحويل الثقافي والاجتماعي. (كمال خير، ١٩٨٦: ٤١).

وكان بعض النقاد يقول إن شعر المقاومة يسمى أيضاً بـ «شعر السجون»، وهذا لأن المقاومين في ذلك الوقت يهربون أعمالهم بالعديد من الوسائل التي كانت تتحدى كل جبروت السجن والسجان مما يصيب المحتل بحالة من الرعب عن كيفية تواصل السجنين مع مجتمعه. لنلاحظ إلى الشعر الآتي (رجاء النقاش، ١٩٩٣: ٨٨):

«إن يحبسونا... أنهم * لن يحبسوا نار الكفاح
 لن يحبسوا عزم الشباب الحر * يعصف كالرياح
 لن يحبسوا أغنية * تعلو على هذي البطاح
 شرقية، عربية الألحان * حمراء الجناح
 طلعت على الأرض الخصيبة * مثل آلهة الصباح
 يا طغمة الحكام زيدي * هل لاضطهادك من مزيد
 ألقى القيود على القيود * سوداء باردة الحديد
 سيعود شعبي في ضياء الشمس * من خلف الحدود
 سيعود للطلل المهدم * يبتنيه من جديد
 سيعود للأرض الحبيبة * للزنايق للورود
 سيعود رغم النار، والأغلال * خفاق البنود»

وكان الشعر السابق كتبه توفيق زياد من السجن، وعنوانها «من وراء القضبان»،
 ذلك الشعر يشير إلينا الروح الثائرة المتمردة التي يمتلئ فيها الأمل والتفاؤل، وهو يعبر
 عن الأزمات والصدمات المتعددة، ويتولد من قلب الجرح الكبير، ومن قلب فلسطين المحتلة؛
 رغم أن المستعمرين يحتلون أرض فلسطين لكنهم لن يوقفوا روح الكفاح وعزم الشباب،
 الروح ستكون تحيا دائما. والشاعر ينتمي إلى قوة شعبية تطالب بحقوقها.
 وهناك مثال آخر من الشعر الذي يعبر عن المأساة في الوطن المحتل، لنلاحظ إلى
 ما كتبه محمود درويش في قصيدته تحت العنوان «جواز السفر» ما يلي (رجاء النقاش،
 ١٠٩:١٩٩٣):

«لم يعرفوني في الظلال التي * تمتص لوني في جواز السفر
 وكان جرحي عندهم معرضا * لسائح يعشق جمع الصور
 لم يعرفوني، أه... لا تتركني * كفى بلا شمس
 لأن الشجر يعرفني * تعرفني كل أغاني المطر
 لا تتركني شاحبا كالقمر! * كل العصافير التي لاحقت
 كفى على باب المطار البعيد * كل حقول القمح
 كل السجون * كل القبور البيض
 كل الحدود * كل المناديل التي لوحت
 كل العيون السود * كل العيون

كانت معي، لكنهم * قد أسقطوها من جواز السفر»

يعبر محمود درويش في تلك القصيدة عن مرارة التناقض بين انتمائه هو وأهله منذ أجيال إلى أجيال إلى أرض فلسطين وبين حرمانه من الجنسية في هذا الوطن، حيث يعتبره الإسرائيليون غريبا ولاجئا في أرضه، ويجسد لنا مأساة حرمانه من الانتساب إلى وطنه فلسطين في صورة فنية وإنسانية خصبة ورائعة، والشاعر يكشف لنا عن تلك علاقة الحميمة الصادقة بينه وبين ذرات التراب والعصافير وأوراق الشجر

وكانت عشرات من الأدباء والشعراء العرب سيقوا إلى السجن في مطلع حزيران ١٩٦٧، منهم منصور كردوش وصالح برانسي ووفخري جدي والشاعر حبيب قهوجي والشاعر سميح القاسم والشاعر محمود درويش والشاعر سالم جبران والشاعر توفيق زياد والأديب فرح نور سلمان وعلي رافع ومحمد خاص وعلي عاشور وغيرهم (غسان كنفاني، ٢٨).

ولعل الظلم والاضطهاد والقمع والاستبداد عدو الحياة، وهي التي تؤدي إلى الحياة الذليلة القاسية، وأينما توجد الظلم والاضطهاد والقمع والاستبداد فهناك يأتي المقاومة، فلا تجد الأمة أمامها إلا الهزيمة بمشاعرها السوداء القاتمة، ومن ثم فلم يخطر ببال الشاعر إلا الخلاص من القضية المعانة. ويقول غسان كنفاني إن الحرب النفسية والاقتصادية والسياسية والبدنية تؤثر أثرا كبيرا في الإنتاج الأدبي العربي وخاصة في فلسطين المحتلة (غسان كنفاني، ٢٨).

وكان شعر المقاومة يصدر من نفس شاعره التي تعي بهويتها الثقافية والحضارية بعمق، والتي تتطلع إلى الحرية الحقيقية من أجل مواجهة المعتدي، وهذا الشعر لا ينطلق إلا من الواقع الحضاري وقيمة مجتمعه الفريدة. وإذا كان الأمر كذلك فالمقاومة في هذا السياق يعبر عن مشروع حضاري أصيل لا يستطيع أحد مهما كان سلطانه وجبروته الوقوف أمام سيل هادر من إرادة شعب أو أمة ليمنعهم من تحقيق أهدافهم المشروعة والتي تكفلها شرائع السماء ومواثيق الأرض بكل أنواعها ومشاربها.

وبما أن شعر المقاومة يحمل الرسالة السامية وهي تحرير الإنسان من أي الضغوط والقمع والاضطهاد من جهة، ويتخذ اللغة الرائعة الفنية كوسيلة للتعبير عما خطر بالبال من جهة أخرى، فإنه في مضمونه يكشف لنا الحرية والجمالة، ومن ثم فيقول محمود درويش إن كل شعر يعبر عن الحرية والجمال وحق الذات في الحياة هو شعر مقاومة، والاحتلال لم ينل من قدرتنا على الاحتفال بالحب والشعور بالجمال، فأبي شعر جميل هو

شعر مقاومة بالمعنى الواسع للمقاومة، ومحاولة تنزيه شعر المقاومة عن النقد، يؤدي إلى التعويق من إمكانية تطويره.

وكانت روح المقاومة لا تنحصر تجلياتها في مجال الشعر فحسب، لكن تتجلى في مجال القصة، ولاسيما القصة التي تصدر بعد الحرب العالمية الثانية، وإذا قرأنا القصة «عبث الأقدار» التي كتبها نجيب محفوظ مثلا نرى أن فيها روح المقاومة بحيث يعبر فيها عن الشعور بالضيق في مصر الحديثة بين المحتل الحكام المتعاونين معه، ويبحث عن أمل في ماضيها المجيد الذي يكون حافظا لحاضرها الذليل.

وعلى غرار ذلك فعل توفيق الحكيم في «عودة الروح» الربط بين حاضري المصريين وماضيهم في ثنايا قصته وأشار إلى القوة الكامنة في الشعب وإلى الروح النائمة التي تنتظر من يستشيرها في ذلك الحوار الذي أجراه على لسان رجل الآثار الفرنسي والمفتش الانجليزي (محمد زعلول، ٢٦١).

إذن كانت روح المقاومة ليست فقط تنهض في مجال الشعر على سبيل الخصوص، بل تظهر أيضا في مجال الأدب على سبيل العام، وكذلك كانت المقاومة لا تأتي من أجل ضد الخارج (ضد المستعمرين) بل تأتي أيضا من أجل ضد الداخل (ضد الحكام المستبددين). ومن مثال المقاومة في الشعر التي تأتي من أجل ضد الداخل هو شعر شوقي حيث يقف فيه على وجه الظلم والظالمين، والاحتلال والمحتلين، ويصور فيه جماعة من المصريين يكونون جماعات للمقاومة في قصر الملكة نفسه يمثلهم «حابي» (محمد زعلول ٢٦٢). وكانت الروح الثائرة المتمردة التي يمتلئ فيها المأساة والأمل من سمات شعر المقاومة بشكل عام، لا تظهر في الأرض المحتلة مثل أرض فلسطين فحسب بل في أرض الجزيرة العربية، وفيما يلي الشعر الذي كتبه أحمد راشد ثاني، الشاعر من الإمارات العربية المتحدة (شهاب الدين غانم، ٢٠١٠: ١٦):

«جالس فوق تاريخه * جالس بانتظار السماء

حبيبه يابس * تحته الكنز

والقلب منحسر * في الفراغ

جالس * جالس والسلام.»

وإذا نرى إلى العالم العربي الأخر مثل سورية فإننا نرى أيضا ظاهرة شعر المقاومة مثل ما في الأرض المحتلة، فهناك شاعر مقاوم مشهور اسمه عمر أبو ريشة، وهو ما زال يعلم أجيال وطنه أن الفن يواكب الحياة فيستوعبها وتستوعبه، وحينما هو يقول عن الحب

فالحب عنده ليس إلا هو الوطن، وهو الإنسان والبشرية، وهو ينشد في قصيدته (أحمد زكي، ٢٠١٤: ١١٥):

«لنا الحب والكأس والمزهر * وللناس منا الصدى المسكر
مشينا معا وجناح الرضا * يواكبنا ظلّه الخير
وخلف ملاعبنا أنجم * على شوق أوبتنا تسهر
غدا ينقل الكون أحناننا * ويسمر في ذكرنا السمر
فميلي نغب في شذا ضمة * يرف عليها المدى المقفر
أخاف انفلات الرؤي الباسمات * إذا خلج الجفن والمحجر
فأحلامنا يقظات الحياة * ووحى النفوس التي تشعر
ونحن من الأزل المطمئن * تبشر في يومنا الأعصر»

وكان شعر ادب المقاومة لها علاقة بالمعارك العربية خارج الأرض المحتلة، والعلاقة بينها هو تلاحم طبيعي، وذلك يتجلى في الشاعر محمود دسوقي بحيث يدخل هذا العالم المتلاحم من بوابة التفاصيل الصغيرة فيعطيه طعما أكثر بدهاءة، وهو أكثر شعراء الأرض المغتصبة تجاوبا مع الأحداث العربية؛ ولقد غني للجماهير على مدار سبع سنين ملاحم الثورة الجزائرية، وفي إحدى قصيدته يهاجم محمود دسوقي الملوك العرب الرجعيين جميعا حيث يقول (غسان كنفاني، ٢٠١٥: ٤٤):

«وبئالت لبس العمامة * صار في صنعاء شاعر
وطن يباع ويشتري * وزعامة للغرب تاجر
وطن يباع ويشتري * وزعامة تلهو- تقامر
هذا يمجد أصله * ويجده دوما يفاخر
أنا ابن بنت محمد * من جاء مكة بالبشائر
لو كان من نسل النبي * لصرت بالإسلام كافر»

وبناء على ذلك فأدب المقاومة ليس من الظاهرة بالمصادفة، وهو نتيجة الظروف التي يعيشها عرب الأرض، الأرض المحتلة والأرض المغتصبة، تحت قيود الحكم الجبار المستبد المستعمر، وتلك الظروف تعود إلى الأمور الثلاثة، أولا كون الغالبية الساحقة من عرب الأرض المحتلة تنتسب إلى الريف، فمعظم مجتمع الأرض المحتلة هو من الطبقة التي لم يكن لها شرف، وتلقي العبء الأكبر، وهذه الطبقة هم الفلاحون، وثانيا كون هؤلاء الفلاحين يتعرضون يوميا لإجراءات القمع الاغتصابي الذي يحاربهم في رزقهم حربا لا

هواة فيها، وثالثا كون الحكم الاغتصابي وليد الأنظمة الرأسمالية التي خلقته ومازالت تدعمه دعما بصورة متصلة منعكسا على يومياتهم ولقمة عيشهم وحریاتهم. (غسان كنافي، ٢٠١٥: ٦٣):

وإذا كان الأمر كذلك فظاهرة أدب المقاومة له علاقة وطيدة بالمشكلات التي تعاني المجتمع بشكل عام، ومن ثم فالاضطهاد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي يندر وجود ما يوازيه سوادا ووحشية في أي نظام عنصري في العالم يصبح مدخلا للتحدي، وحين تنفتح فرص الالتحام يقفز الشعر إلى مستوى يؤهله ليكون حذاء للمسيرة الثورية، وحين يرد على وجود العدو رده اليومي يلجأ إلى السخرية إمعانا في الاستخفاف، وحين يتعامل مع قضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية داخل الأرض يرنّ فيه نغم التحدي بدل النواحي والشكوى.

ومضافا إلى ذلك، فأدب المقاومة ضمن الاضطهاد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي يقدم الحلول باستنفار المستضعفين نحو الحرية، على نحو مبادر، وأن يتعاشى في كل ذلك بالإشارة والبناء على النماذج الإنسانية المشرقة في الفاقة الإنسانية التي نادت بالحرية والعدالة والمساواة، وقدمت التضحيات بعد التضحيات في سبيل قضايا التحرر والنضال والممانعة وربطها مع الواقع الحاضر استشراقاً للمستقبل

فبالنسبة إلى المشكلات الاجتماعية والسياسية يصبح أدب المقاومة مشروعا حضاريا أصيلا لا يستطيع أحد مهما كان سلطانه وجبروته الوقوف أمام سيل هادر من إرادة شعب أو أمة ليمنعهم من تحقيق أهدافهم المشروعة والتي تكفلها شرائع السماء ومواثيق الأرض بكل أنواعها ومشاربها. ومن ثم فأدب المقاومة يستنهض الأمة من سباتها ويوقظها من نومها العميق، ويعمل على تحريك المشاعر والأحاسيس وهي مخرجات لا تتأتى إلا بوجود عوامل تحفيز كالاحتلال والغزو والاضطهاد الذي تتعرض له الدول والشعوب.

ولقد غني شعراء المقاومة مشاكل البلاد العربية وأحداثها، وتجاوبوا بأسرع مما تجاوب كثير من شعراء العربية مع المعارك والصدمات التي حفلت بها الساحة العربية خلال السنوات الماضية، بل إن شعرهم يطل على تلك الأحداث من مواقع أكثر أملا وصمودا، ويزرع الآمال في صدور أهل بلاد العربية، وهذه الروح لا يستطيع أن يفارقه شعر المقاومة على امتداد السنين.

وإذا كان شعر المقاومة لا ينفصل من المشكلات التي تعاني مجتمع البلاد العربية فإن من سمات هذا الشعر هو أنه ينبع من البعد الاجتماعي والبعد الإنساني معا، ويحاول

على معرفة الآخر، وشعراء المقاومة هو أبناء الجماهير التي ربتهم وأعطتهم الجذور. وشعر المقاومة يعكس المأساة الإنسانية والكونية والوطنية، وهذه هي القضية العامة التي يعبر بها قضايا الأدب العربي المعاصر بشكل عام (حسين مروة، ١٩٨٨: ٣٤).

العلاقة القوية بين النصوص الأدبية المعاصرة والواقعة الحديثة في العرب

الصراع والصدام والحرب والمقاومة والثورة يتمشى كل الزمان في بلد من البلدان في العالم. وتجري في الآوان الأخيرة المقاومة والثورة في بلد العرب، وهذه الأحوال دخلت إلى الصدام والصراع، وأما الحرب اصطلاحاً ويكون هذا البحث يتجلى عرضه في المقاومة والثورة والصراع والحرب في الأدب العربي المعاصر. وعند محمد حسن أن المجتمع العربي ألف الحرب منذ أقدم العصور، فكانت شغلاً شاغلاً لكل أفرادها، فظهر تأثيرها في ذلك المجتمع في صور عديدة شملت آل أوجه الحياة فيه، لاسيما اللغة والأدب (محمد الحسن، ٦٣١).

كان الشعر وسيلة التعبير الفني، وهو صوت الروح في مواجهة ما يجري في البلاد، وهو انعكاس للواقع في ذات الكاتب حيث يعبر من خلاله الشعراء عن نظرتهم للواقع الذي يعيشونه، ويغدو الشعر نسيجاً متكاملًا من الألم والأمل والأشواق والحنين والاعتناق من الماضي، والرغبة في تجاوز الحيات التي تكفل تفاصيل حياة أولئك الشعراء، وتحملهم لتجاوز الذكريات التي عاشوها نحو حياة جديدة تفترض التعايش والاندماج مع كل ما تخبئه لهم من عوالم غريبة لم يعتادوها.

لقد عبر الشعر السوري عن مفردات المقاومة طوال تاريخها من خلال البعدين، منهما البعد المكاني متمثلاً في الأرض التي حملها الشعر دلالات ومعان تتجاوز ملامحها المادية لتكتسب بعداً روحياً وقيماً علياً، والبعد الثاني يتمثل في البعد التراثي والتاريخي. ولعل ذلك البعد يتجلى جلياً في شعر عمر أبو ريشة حيث ينشد (عمر أبو ريشة، ١٩٩٨: ٣١٨):

«كم جئت أحمل من جراحات الهوى * نحوي يرددها الضمير ترنما!
سالت مع الأمل الشهي لترمي * في مسمعك فما غمزت لها فما
فحنقتها في خاطري فتساقطت * في أدمعي فرشبته متلعثما
ورجعت أدراجي بأصيد من المنى * حلما أنام بأفقه متوهما
أخستاه! قد أذف النوى فتنعمي * بعدي فإن الحب لن يتكلما
لا تحسبيني ساليا إن تلمحي * في ناظري هذا الذهول المبهما
إن تهتكى سر السراب وجدته * حلم الرمال الهاجعات على الظما

والقصيدة السابقة تعبر أن الشاعر رأى في الصحراء ماء يتموج من بعيد، فقيل له إنه السراب، فتأمله طويلاً وأحس بالرمل الملتهب ظمأً تحت أشعة الشمس ينام ليحلم بالماء، وما هذا الذي يسمونه سرايا إلا أطياف حلمه اللذيذ، وكان الشاعر على حال عاطفية قلقة فوجد في إحساسه هذا منفذاً لها.

ومن خلال تلك القصيدة يتصدر الشاعر عمر أبو ريشة الجميع في حلاوة رومانسية وقوتها معاً، وقد رشفت من جمال الطبيعة السورية ومن الوطن السورية التي هو مضرب الأمثال، وجعل «السراب» رمزاً للأمل الشهي الذي ما زال يترنم ولكنه لم يتوقع وجوده المادي، فمن يستطيع أن يفضحه سوف يجد حلم الرمل. وإذا كان «السراب» يشبه سرا من الأمل فمعرفة حقيقة «السراب» من أمر مهم لتحقيق الحلم الذي يحتلم به أهل الوطن، وذلك ليس إلا بالكفاح والنضال.

لقد ازدهرت بلاد سوريا في العصور القديمة لخصوبة تربها، وفيها آثار بشرية لا تحصى، قامت فيها إمبراطوريات متعاقبة قوية اشتملت أغلبها على الهلال الخصيب برمته، وبرزت منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد الحضارة الأرامية التي استمرت هوية البلاد الحضارية الأساسية حتى استعراب غالبيتها مع حلول القرن الحادي عشر بعد الميلاد، وعلى مر العصور أصبحت بلاد سوريا تحت ظل الاستعمار وخاصة في عصر الحرب العالمية الأولى، وبعد الحرب أعلن استقلال سوريا ٨ مارس ١٩٢٠ من قبل المؤتمر السوري العام إلا أن فرنسا رفضت الاعتراف بالمؤتمر، ثم نالت سوريا استقلالها التام عام ١٩٤٦. ولعل هذه الأزمة تلاحظ نظرة الشعراء السوريين، وكان الشاعر عمر أبو ريشة يصور هذه الأزمة كما يلي (عمر أبو ريشة، ١٩٩٨: ٣١٨):

«صاح! كؤوسي لا تشفي * غصمي .. لا تسكر ألامي
أستعرض أيامي فأري * ما تخجل منه أيامي
فجفوني لا تعرف إلا * أحلامي تقتل أحلامي
ودروبي لا تذكر أنني * نقلت عليها أقدامي
صاح! وأحبك يا دنيا * في الوهج من الشفق الدامي
ما أوجع نفرة أهوائي * مني ... وتثاؤب أصنامي!!»

يعبر الشاعر عمر أبو ريشة من خلال قصيدته «ما أوجع» السابقة عن هموم وطنه، كيف يكون مجتمع سوريا في الحياة المأسوية رغم أنها أرض غنية من الآثار البشرية القديمة ولها تاريخ طويل في الحضارة الإنسانية، وجعل الشاعر «كؤوس» رمزاً للثروات الحضارية

التي ازدهرت في العصر القديم، وهذه الكؤوس لا يشفي المشكلات التي يهيم مجتمع سوريا، والمشكلات أو الأزمات لاتزال تتضاعف من حين إلى حين، ليس لها الحل الذي يعالجها، أما الذي يبقي هو الحلم، والحلم لا يعالج الأزمات التي تعاني الحياة. وكان عمر أبو ريشة ليس هو الشاعر الوحيد الذي يهيم أزمة وطنه، فهناك الشاعر عمر الفراء حيث خطر بباله من المشكلات أو الأزمات التي تعاني بلاده، فجاء هو بشعر الوطنية الجميل حيث ينشد:

«الوطن يا بني شبيه الأم إن رادت ترضع وتفطم
وإن رادت توهب وتحرم بأي حالة اسمها الأم
الوطن يسكن خلايا الدم غريزة تسري عبر الدم
لما نموت بالغربة تظل الروح تلفانا حزينة مشرودة بالهم
الوطن عزة وكرامة وصحوة الوجدان
الوطن صبر وعزيمة وقوة الإيمان
الوطن يا بني ما هو لفلان أو لفلان أو لفلانا
الوطن يا بني ما هو سايب يصير بلحظة مجنوناً لأي من كان
الوطن لي جذوره مثبتة بتاريخ يتزاحم مع الأزمان
الوطن يلي يخلي الصخرة مخضرة ويزرع بالصخر بستان
الوطن لي سما حتى وصل مرحلة إنسان
الوطن ساكن عشق بينا ولو غبنا
الوطن لي بنا اللبني على اللبني
الوطن لي لأجل أرضة نزر نفسه ورخص بأبنة
الوطن لي يرد الغارة بالكون
على الله توكل وجابه ولغيره ما طلب عوننا
الوطن يا بني رقم واحد وبعد مية يجي العالم
الوطن ناموس لي يخجل
بنهايتها الوطن يا بني عرض البني آدم»

وفي القصيدة السابقة شبه الشاعر عمر الفراء الوطن (سوريا) بالأم حيث يرتضع الولد ويفطم، وفيها عشق وحنين وكرامة وعز، والأم هي أرض يزرع فيه الولد أنين الحب وصحوة الوجدان، وهذه الأرض لا يأتي بالمصادفة، ولها تاريخ يتزاحم مع الأزمان، وكانت

سوريا هي أرض لأهلها، لا المستعمرين الذين يغتصبونها، وكانت كلمة «الأم» رمزا لأرض يترعع ويعيش فيها أهل سوريا من زمن قديم، وهي جذور لحياتهم وثقافتهم، ومن ثم كأن الشاعر - من خلال تلك القصيدة - يحث أهل سوريا على الهرب والنجاح ممن يحاولون فرض السيطرة عليهم بالإكراه، والحصول على الحرية.

وكان البعد المكاني يزداد جلاء لاكتساب البعد الروحي والقيم العليا حيث ينشد الشاعر عمر أبو ريشة عن طبيعة وطنه استرجاء إلى ماضيه، فينشد الشاعر بصرح روماني قديم، لا يستطيع غير الظن أن يتحدث عن ماضيه، واسترعي انتباهه خلوه من الشوك، وتالق ترابه النظيف، فقال في نفسه: إن الموت يقف أمام ضحيته، مجروح المبرياء لأنه لا يستطيع أن يفتك أكثر مما فتك (أحمد زكي، ١١٠):

«قفي قدمي! إن هذا المكان * يغيب به المرء عن حسه
رمال، وأنقاض صرح هوت * أعاليه تبحث عن أسه
أقلب طرفي به زاهلا * وأسأل يومي عن أمسه
أكانت تسيل عليه الحياة * وتغفو الجفون على أنسه؟
وتشدو البلابل في سعده * وتجري المقادير في نحسه؟
أستنطق الصخر عن ناحيته؟ * وأستنفض الميت من رمسه؟
حوافر خيل الزمان المشت * تكاد تحدّث عن بؤسه!
فما يرضع الشوك من صدره * ولا ينبع اليوم في رأسه
وتلك العناكب مذعورة * تريد التقلت من حبسه
ولقد تعبت منه كف الدمار * وباتت تخاف أذى لمسه
هنا ينفذ الوهم أشباحه * وينتحر الموت في ياسه»

وبالإضافة إلي ذلك، نجح الشاعر عمر أبو ريشة في تعبير همومه عن وطنه، وكان الحب هو الوطن، وهو الإنسان، وهو البشرية، وهو الله. وهذا يتجلي في قصيدته «نداء الحب» حيث ينشد (أحمد زكي، ٢١٠: ١١٥)

«لنا الحب والكأس والمزهر * وللناس منا الصدى المسكر
مشينا معا وجناح الرضا * يواكبنا ظلّه الخير
وخلف ملاعبنا أنجم * على شوق أوبتنا تسهر
غدا ينقل الكون ألعاننا * ويسمر في ذكرنا السمر
فميلي نغب في شذا ضمه * يرف عليها المدي المقفر

أخاف انفلات الرؤي الباسمات * إذا خلج الجفن والمحجر
فأحلامنا يقظت الحياة * ووحى النفوس التي تشعر
ونحن من الأزل المطمئن * تبشر في يومنا الأعصر»

وجعل الشاعر «الكأس» رمزا للمجد والعز، والرمز جزء من هوية المجتمع، والشاعر يرمز بالكأس إلي النهضة الاجتماعية الحديثة، وإلي إيجاد العوامل المساعدة إلى الانطلاقة الاجتماعية الرائدة التي تدعو إلي العمل والانجاز وإصلاح حال الفرد والمجتمع. ولعل القيم الأساسية التي تتمثل في شعر المقاومة السوري، والتي تمثل أرفع مستويات الالتحام القائم بين النضال القومي والصراع الاجتماعي ليست من ظاهرة الشعر المقاوم في سوريا فحسب، بل تصبح نسيجا إيديولوجيا لشعر المقاومة في بلاد الجزيرة العربية عامة. وهذا يعود إلي أن «وحدة المصيرة» تجمع الشعوب العربية، ومن شأنها أن تعمل على توحيد أساليب النضال، ومن بينها لغة العرب، واللغة العربية أصبحت الركيزة الأساسية في أدب المقاومة (غالي، ١٩٧٠: ١٣)

لنلاحظ الآن إلي قصيدة بدر شاكر السياب، وهو من أشهر شعراء العراق الذين يهتمون بمأساة وطنه، ومن أجل المسؤولية الاجتماعية يستعيد السياب من خلال قصيدته لتاريخ القومي والإنساني، ويجعله دافعة رموز نضال الإنسان عبر التاريخ المحلي والكوني إلي حياة جديدة في كنف القصيدة.

وينشد السياب في قصيدته «المسيح بعد الصلب» (بدر الشاكر، ١١٣: ٢٠١٣):

«ها انا الآن عريان في قبري المظلم
كنت بالأمس ألتف كالظن، كالبرعم
تحت أكفاني الثلج يخضل زهم الدم
كنت كالظل بين الدجى والنهار
ثم فجرت نفسي كنوزا فعريتها كالثمار
حين فصلت جيبي قماطا وكمي دثارا
حي دفأت يوما بلحمي عظام الصغار
حين عريت جرحي، وضمت جرحا سواه
حطم السور بيني وبين الإله»

ومن خلال القصيدة السابقة يؤكد السياب على الطابع الإنساني للانبعاث، وكان انبعاث الانسان عبر الأرض وتجربته في الهبوط ليبين نفسه عند المستوى الحضاري

فحسب، بل إنه يلتحم بانبعثات المسيح الذي يرمز إلي النضال الباطني للفرد، وإلي النضال الاجتماعي من أجل العدالة والكرامة، وإلي معانات الوجود وتضحيات الحياة المناضلة المتوجة بالصلب غالباً، ومن ثم كان السياب -عبر ذلك- يطالب بتحرير المجتمع وانتصار الشعب (كمال، ١٩٨٧: ٤٩).

ومن خلال القصيدة الأخرى جعل بدر شاكر السياب «الأرض» رمزا يكتسب دلالة سامية كحبل سري وكقبر وكانبعث دائم للإنسان، وهذا يمثل فيما يلي (بدر شاكر، ١١١)

«قلبي الأرض، تنبض قمحا وزهرا وماء نميرا

قلبي الماء، قلبي هو النيل

موته البعث: يحيا بمن يأكل»

فهناك شاعر آخر يهتم بمأساة مجتمعه، وهو صلاح عبد الصبور الذي يصور السمات

الدقيقة للشعب المصري حيث يقول (صلاح، ١٩٧٢: ٢٩):

«الناس في بلادي جارحون كالصقور

غناؤهم كرجفة الشتاء في نؤابه المطر

وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب

خطاهمو تريد أن تسوخ في التراب

ويقتلون، يسرقون، يشربون، يجشأون

لكنهم بشر

وطيبون حين يملكون قبضتي نقود

ومؤمنون بالقدر»

وفي قصيدة أخرى وصف صلاح عبد الصبور عن حال مجتمع مصر كما يلي (صلاح،

١٩٧٢: ٩٦):

أهل بلادي يصنعون الحب

كلامهم أنغام

ولغوهم بسام

وحين يسغبون يطعمون من صفاء القلب

وحين يظمأون يشربون نهلة من حب

ويلغطون حين يلتقون بالسلام

عليكم السلام

عليكم السلام

وهكذا ينشد صلاح من خلال قصيدة عن واقع المجتمع المصري من صميم الإحساسة والانفعالية، فالسلام هو حياة هذا الشعب الذي لا يتحول إلي صقر جرح إلا حين تهدده قوى الشر، تهدد حياته وسلامه، للتعبير من طبيعته وتهدم حضارته.

ومن الشاعر الآخر الذي لا يمكن تجاهله، والذي يشغف بهوموم وطنه، هو عزيز ضياء، ومن خلال قصيدة «العيد» جعل عزيز ضياء «الهلal» رمزا لأمر منها السعادة بعد الشقاء، والوضوح بعد الغموض، وجعله رمزا للمعشوقة وهو في ذاتة رمز لقدم العيد، وهو رمز للبهجة، وهو يقول (محمد، دس: ٢٥٣-٢٥٤):

رأت الأرض الهلال فقالت:

يا سعادتي بقدمك، فأنت مؤنسي يستبد بي الليل، وانت نجي حين ياسرني الظلام
ورأي العاشق الهلال فقال:

يا للهنائي بقدمك، فانت عزائي حين تهجرني الحبيبة، وانت ملاذي حيم يحفزني

الكري

ورأي الناس الهلال فلم يقولوا شيئاً وإنما ملأوا الدنيا ضحكا وأطلقوا المدافع ابتهاجا
وسأل الطفل أباه الغني قائلاً:

لم تطلق المدافع يا أبت؟

فقال: لأن العيد قد أتى؟

فوثب الطفل صائحا

العيد قد أتى يا فرحتي بالعيد!؟

ومما سبق بيانه نري أن شعر المقاومة في بلاد الجزيرة العربية لا ينفصل من الواقع الاجتماعي، وليس هو الشعر الانعزالي، بل هو الشعر الاجتماعي الذي له علاقة متينة بواقعه، والذي يحمل رموزا تاريخية كثيرة نتيجة لامتداد العمر الزمني لهذا المجتمع من العصور القديمة، وكان المجتمع والأرض تصنع تقاليد تتطور إلي رموز، فهناك رمز للكرام وللمرودة ولمعانة المجتمع وللصراع وللفيروسية، وفي الرمز أسلوب فيه تلميح ومداره.

الاختتام

ظاهرة الشعر العربي في هذه الأواخر مثل سورية يكون شعر المقاومة والثورة مشهورة ومنثورة، مثلما في الأرض المحتلة، فهناك شاعر مقاوم مشهور اسمه عمر أبو ريشة، وهو مازال يعلم أجيال وطنه أن الفن يواكب الحياة فيستوعبها وتستوعبه، وحينما

هو يقول عن الحب فالحب عنده ليس إلا هو الوطن، وهو الإنسان والبشرية، وهو ينشد في قصيدته. وكان شعر المقاومة والثورة والنزاعات والحرب لها علاقة بالمعارك العربية خارج الأرض المحتلة، والعلاقة بينها هو تلاحم طبيعي، وذلك يتجلي في الشاعر محمود دسوقي بحيث يدخل هذا العالم المتلاحم من بوابة التفاصيل الصغيرة فيعطيه طعما أكثر بدهاءة، وهو أكثر شعراء الأرض المغتصبة تجاوبا مع الأحداث العربية؛ ولقد غني للجماهير على مدار سبع سنين ملاحم الثورة الجزائرية، وفي إحدى قصيدته يهاجم محمود دسوقي الملوك العرب الرجعيين جميعا. تجليات الأدب العربي المعاصر التي ترمي إليها الدراسة هي تلك العواطف الراقية النبيلة التي تحدد بالإنسان والثقافة والحضارة إلى التحليق في سماء الحب والخير والعطاء والنماء. وتتناول دراسة الجهني ثلاثة محاور هي: الصراع في الأدب، والصدام في الشعر العربي على مر العصور، معالم حياة وبدور شاعرية.

موقف الصراع في الشعر العربي المعاصر فيتمثل في الوجوه الثلاثة، وهي الصراع الميتافيزيقي والصراع الرفض والتمرد الثوري. والتمرد هو أن يباعد بين الإنسان وأي فكرة مجتمعه، لأنه يتوجه بصفة أساسية إلى الكليات المنفصلة عن كل واقع تاريخي. والمتردد على الواقع يتضمن رفضه أولا، لكن التوقف عند مجرد الرفض لا يمثل إلا الوجه السلبي للتمرد، والواقع أن الإنسان لا يستطيع أن يرفض رفضا حقيقيا إلا إذا كان يعرف بديلا حقيقيا. وهذا الموقف يتمثل في كثير من الشعر العربي المعاصر، فمرة يماثل في رفض الظلم وإقرار العدالة الاجتماعية، ومرة في رفض البالي من القديم إلى الجديد، ومرة في رفض قوي السيطرة والتحكم الأجنبي بكل أشكاله السياسية والثقافية والاقتصادية.

إن للأدب علاقة وطيدة بحياة المجتمع، والأديب حين يؤلف الإبداع الأدبي فإن فكرته لا تخلو مما خطر بباله حوله، فعلاقة الأدب بالمجتمع هي بالذات تشمل علاقة الأديب بمجتمعه ووعيه لما يجري حوله وكشفه ما يخص المجتمع وما يخفى على الآخرين، فلا غرابة يقول نقاد الأدب إن الأدب تنعكس فيه وقائع اجتماعية وهو مرآة الحياة الاجتماعية.

المراجع

- Abas, Ihsan, 1998. *Ittijahat al-Syi'ir al-'Arabi al-Ma'ashir*. Kuwait: Majlis al-Wathani.
- Abd al-Maqsud Wahed Umar Bilkhair, Muhamad Said. (DT). *Wahy ash-Shahra'* Mesir: Isa Albaba Alhalabi.
- Abduh 'Iwad, Ahmad. 2000. *Madakhil Ta'lim al-Lughah al-'Arabiyah, Dirasah Masrahiyyah Naqdiyyah*. Makkah al-Mukarramah: Ummul-Qura.

- Abdurrauf Jabar, Ahmad. 2007. *As-salam fi al-Syir al-Arabi Ibanatul al-Harb al-Alamiyah ats-Tsaniyah*. Dunya al-Wathan: Tarikhu al-Nasyr.
- Abdul Shobur, Shalah. 1968. *Qiraah Jadidah li Syi'rina al-Qadim*. Al-Qahirah: Dar al-Katib al-Arabi.
- Abdus Shabur, Sholah. 1972. *Diwan Shalah Abdul al-Shabur*. Beirut: Dar al-Audah.
- Abu Risyah, Umar. 1998. *Diwan Umar Abu Risyah*. Bairut. Darul al-Auadah.
- Abu Syadi, Ahmad Zaki. 2012. *Qodhaya asy-Syi'r al-Mu'ashir*. Al-Qahirah: Muassasah Handawi lil Ta'lim wa al-Tsaqafah.
- Ali, Syams. 2015. *Al-Nuz'ah al-Insaniyah fi Syi'r al-Syabi wa Qusaibi*. Dammam, Mamlakah al-Arabiyyah al-Su'udiyah.
- Arabi, Ibn, 2004. *Kitab al-Tajaliyat dimn Rasail 'Ibn*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyat.
- Dhaif, Syauqi. *Tarikh al-Adab al-Arabi al'Ashr al'Abbasi ats-Tsani*. Mesir: Darl al-Ma'arif.
- Faiq, Ahmad. 2003. *Mudkhal li 'ilm al-Nafs*. Al-Qahirah: Maktabah al-Jalu al-Misriyyah.
- Faruk. 2015. *Pengantar Sosiologi Sastra*. Yogyakarta: Pustaka Pelajar.
- Ganim, Syihab. 2010. *Qashaid Mu'ashirah min al-Jazirah al'Arabiyyah*. Abu Dabi: Dar al-Kutub al-Wathaniyyah.
- Hamd al-Nail, Muhammad Al-Hasan Ibrahim. 1425. *Majallah Umm al-Qura li 'Ulum al-Syari'ah wa al-Lughah al-Arabiyyah wa Adabiha*.
- Hilal, Muhamad Ghunimi. 1987. *Al-Adab Almuqaran*. Beirut: Dar Audah.
- Ibrahim Abu Labdah, Rania Ahmad. *Syi'r al-Hurub wa Fitah fi al-Andalus*. Risalah Duktoroh fi Jami'ah al-Najah al-Wathaniyyah.
- Ismail, 'Izzuddin. 1967. *Asy-Syi'r al-Arabi al-Mu'ashir: Qadhayah wa Dhawahirahu al-Fanniyah wa Ma'nawiyah*. Al-Qahirah: Darul al-Kutub al-Arabi.
- Jaudi, Muhammad. 2013. *Tajalliyat ash-Shira' Ma'a al-Akhar al-Israili fi al-Adab al'Arabi*. Dirasah fi an-Naqd ats-Tsaqafi. Risalah Dukthorah. Jami'ah Muhammad bu Dhiyaf al-Masilah.

- Kanfani, 'Assan. 2015. *Adab al-Muqawamah fi Falesthin al-Muhtallah*. Qabrash: Dar Mansyurat ar-Rimal.
- Khair bik, Kamal. 1987. *Harkah al-Hadasah fi al-Syi'r al-Arabi al-Mua'ashir*. Bairut. Dar al-Fikr.
- Mahmud Aqil, Ahmad Abdul al-Qodir. 2003. *Shira al-Hadarah wa Atharuhu fi al-'Ashri al-abbasi al-Awwal* (al-Qurn al-Hijr al-Stani). Risalah Dكتورah fi Jami al-Najah al-Wathaniyah.
- Mu'jam Al-Ma'ani*, 2017. Mu'jam lil kalimat al-arabiyah lil syabakah dauliyah.
- Zainuddin, Maliki. 2012. *Rekonstruksi Teori Sosial Modern*. Yogyakarta: Gadjah Mada University Press.
- Marwah. Husain. 1988. *Dirasah Naqdiyah fi Dhawi al-Manhaj al-Waqi'i*. Beirut: Maktabah al-Ma'arif.
- Malaikah, Nazik. 1967. *Asy-Syi'r wasy-Syu'ara', fi Syi'ri*.
- Maula, Ali. 2005. *Ilm al-Ijtima'*. Markaz Dirasah al-Wahdah al-Arabiyah.
- Muhammad Shadiq, Izzah. 2008. *Madkhal Ila Ilm al-Nafs al-'Amm*. Jami'ah Hilwan. Kulliyah al-Adab. Qism 'Ilm al-Nafs.
- Al-Malih Halwuni, Fadiyah. 2005. *Tajalliyat Thaqafah al-Muqawamah fi al-Syi'r al-Arabi al-Mu'ashir*. Majallah al-Ulum al-Insaniyyah Jamiah Muhammad Khaidar biKasrah. 'Adad al-Stamin.
- Al-Nashir, Saad. 2015. *Tafa'ul al-Qiyam al-Insaniyah fi al-Adab*. Duna Mathba' Sa'di, Ibrahim. 2013. *As-Shira' Baina al-'Arabiyah wa al-Faransiyah*. Majalah Nusyr. Vol 12.
- Sayyab, Badr Syakir. 2012. *Unsyudatul al-Mathar*. Al-Qahirah. Muassasah Handawi lil Ta'lim wa al-Shaqafah.
- Usman, Ibrahim. 2007. *Muqaddimah fi Ilm al-Ijtima'*. Dar asy-Syuruq lil Nasyr wa at-Tauzi'
- Za'lul Salam, Muhammad. Duna as-Sanah. *Dirasah fi al-Qishah al-'Arabiyah al-Hadisah*. Al-Iskandariyah: Mansya al-Ma'arif.

